Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأدبيات) على يد أحمد بنمسعود، ولكنه لم يتخل عن («حذف الحصا بيننا ولعب الكرة») (ص 219)، مؤكدا أنه لم يكن يلتفت إلى التعلم إلا قليلا. بينما نراه هنا يحتفظ بذكريات لطيفة كانت مدار حياته في (بونعمان)، إلى أن رحل عنها إلى مدرسة أخرى (تانكرت) عند الشاعر الإيفراني محمد بن الطاهر. ويقر المختار السوسي أنه تقدم في الفنون، ولكنه لم يستفد كثيرا إلا من الأدب. ولعله عاش في هذه الأثناء في ضيق شديد من أمره، بحيث يذكر أن والدته هي التي كانت تمده «بكل ما في استطاعتها»، لا يجد، مع ذلك، من يقدم له النصح ويرشده إلى سواء السبيل. وربما كانت هذه المرحلة أساسية في تكوينه، لأنه عاش فيها على كثير من الحرية و«أنفة زائدة»، مستخلصا من ذلك أنه من الأفضل أن يكون الإنسان ذا إرادة فاعلة، من أن ينشأ ذنبا لغيره (ص 220). وتبدو هذه المرحلة أساسية أيضا لأنه يؤرخ بها لتفتح فكره وكثرة مطالعاته في المتون (الألفية، المقامات والاستعارات، بانت سعاد، البردة والهمزية والشقراطيسية وسوى ذلك)، فضلا عن انتقاله بين المدارس السوسية، وقراره، لأول مرة، بالارتحال وقد انقلبت ظروفه، كما يقول، «من أحوال الطلبة إلى أحوال الفقراء» (ص 221) على طريقة قومه في الذكر.(«وقد تطورت بسرعة من أحوال الطلبة إلى أحوال الفقراء، بل إلى أبناء الزوايا مع الفقراء») (ص 221).

لنلاحظ هنا أن مجرى الحياة الفردية يسير نحو التصاعد ويفارق، في نفس الوقت، طفولته الأولى مع تقدم المختار السوسي في طلب العلم، وارتباطه التدريجي بالتجربة الصوفية، وخروجه من موطنه. وهذه درجات في تكوين الشخصية تؤشر ضمنيا للمسار اللاحق الذي أصبحت عليه، ولعلها قعدت خصائصها الذاتية وأسبغت عليها كثيرا من العناصر الرمزية التي ستصبح مرتبطة، من حيث الاعتبار، بالاسم العلم الذي حازه المختار السوسي.

فهو يصرح مثلا أن استقراره بمراكش بعد خروجه من (إلغ) دعاه إلى النزول في (الساعدات) لحضور دروس (سيدي عبد القادر). فصار، خلافا لسابق تجربته في التعلم، لا يخالط أحدا ولا يتعرف عليه، مخافة «أن أقع ثانيا في الذي خرجت منه من مدارس سوس»، ثم انكب على «مطالعات شتى» بحكم رفعة المجلس الذي كان يرتاده. وأما تجربته الصوفية، مع أنها كانت لهوا منه كما يقول، فقد بوأته مكانة بين الفقراء، لو شاء لاغتنى منها، غير أن تعففه جعله يقنع بالصحبة والذكر. وهو، قبل هذا وبعده، لم يعد يطيق العودة إلى (إلغ) والمكوث فيها. ولعل لقاءه، في هذه الأثناء، بـ(سعيد التناني) وتردده عليه، هو الذي وجهه نحو المستقبل الذي كان يهفو إليه. ويظهر من خلال ما وقع في نفسه من أقواله، وخصوصا ما يتعلق منها بأهل التصوف،